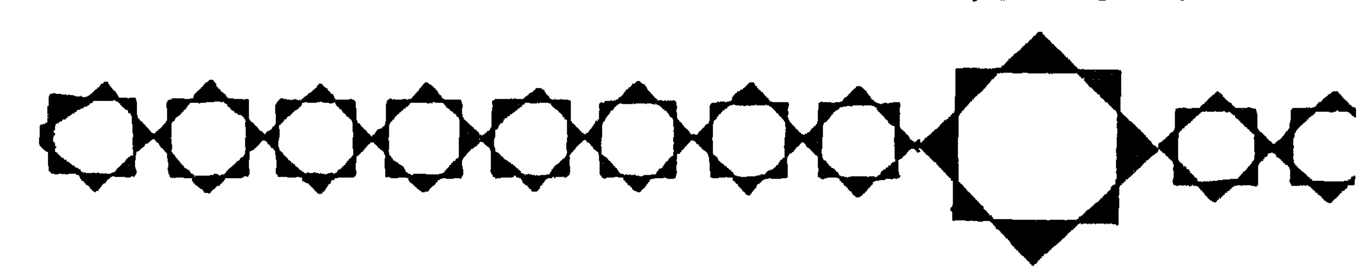
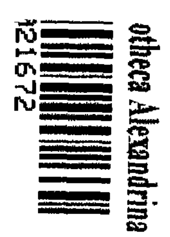
عبد العزيز الشناوي



صديقان في الجنة

الزبير بن العوام

أبو عبيدة بن الجراح



دار الفكر العربي



عبد العزيز الشناوي

صـــديقان فى الجنـــة

الزبير بن العوام

و

أبو عبيدة بن الجراح

ملتزم الطبع والنشـــر
دار الفكر العربى
الأدارة : ١١ ش جواد حسنى - القاهرة
ص ب ١٣٠ ت ٣٩٢٥٥٢٣



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الصادق الأمين ، ورضى الله تبارك وتعالى عن آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين •

وبعـد ••

فهـذه مواقف من حياة اثنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن مات وهـو عنهم راض مبشرا لهم بالجنة •

اما الأول فاسمه الزبير ، أبوه العـوام بن خـويلد ، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمـة النبى عليه الصلاة والسلام ، وعمته أولى أمهـات المؤمنين خـديجة بنت خـويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم •• وهـو صاحب أول سيف سـل فى سبيل الله •

أما الثانى فواحـد ممن وهبوا حياتهم فى سبيل الله ، واشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، ولم يصف التاريخ احـدا أنه يساوى ألف رجل فكان بهـذا الوصف حقـا سواه ••

إنه أبو عبيدة بن الجراح ••

ستمضى معهما أيها القارىء العزيز رحلة قصيرة ولكنها غنيـة بالمواقف الجسام التى نرجو أن تكون أسوة وقـدوة لمن هـداهم الله من أولى الألباب •

النـاشر





« لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ .. وإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ »

حديث نبوى شريف

نـــــداء •••

خرج مـــع أهـــل الشام لقتال أمير المؤمنين على بن أبى طالب • فلمـــا التقى الجمعان وجها لوجـــه ناداه الإمام على :

ــ يا أبا عبد الله •• يا زبير ••

فخرج الزبير بن العـــوام من بين صفوف جيش أهـــل الشام • فانفرد أمير المؤمنين على بن أبى طالب به وقال له :

ــ يا زبير ما أخرجـــك ؟

قال الزبير بن العـــوام :

ــ أنت • ولا أراك لهـــذا الأمر (الخلافة) أهلا ولا أولى به منا •••

فقال أمير المؤمنين على : ألست له أهلا بعـــد عثمان ؟

قال الزبير بن العـــوام : نعم ••

قـــال الإمام على :

ــ لقـــد كنا نعـــدك من بنى عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء (عبد الله ابن الزبير) ففرق بيننا • أتذكر يا زبير يوم مررت مـــع النبى عليه الصلاة والسلام فى بنى غنم ، فنظر إلى وضحك وضحكت فقلت له : ألا يدع ابن أبى طالب زهـــوه ؟ فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس به زهـــو يا زبير ألا تحب عليا ؟ فقلت : ألا أحب ابن خالى وابن عمى ومن هـــو على دينى ؟ فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم •

فأغمض الزبير عينيه وعض شفته السفلى وكأنه يحث ذهنه على نبش أغوار الماضى •• ثم قال :

ــ نعم أذكر الآن ، وكنت قد نسيت ، ولو تذكرت ما سرت مسيرى هذا • والله لا أقاتلك أبدا •

هل أضاءت كلمات أمير المؤمنين على أقطار نفسه فأبصر سبيل الحق ؟ هل كشطت عن عينيه الغشاوة التى طمستهما فرأى طريق الصواب ؟ لقد أصبح كل همه أن يلقى الله عز وجل وهو عنه راض ، كما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وهو عنه راض وبشره بالجنة •

ورجع الزبير بن العوام قرير العين بعد أن من الله تعالى عليه من بصيرة وهدى ••

قال الزبير لأم المؤمنين عائشة :

ــ ما كنت فى موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا ••

فتساءلت عائشة بنت أبى بكر :

ــ فما تريد أن تصنع ؟

قال الزبير بن العوام : أريد أن أدعهم وأذهب •••

فغضب ابنه عبد الله بن الزبير وقال :

ــ جمعت بين الغارين (العارين) حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب ؟ لكأنك خشيت رايات ابن أبى طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد وأن تحتها الموت الأحمر فجبنت ، فأحفظه ذلك أنى حلفت أن أقاتله •

قال الزبير بن العوام : لم أجبن يوما • كفر عن يمينك •

قال الزبير لأصحابه : هيا ••

فقالوا : إلى أين يا أبا عبد الله ؟

قال الزبير :

ــ إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أردت أن أدعهم فلقد رأيت بين جمع على بن أبى طالب عمار بن ياسر فارتجف قلبى ••

قالــوا : لــاذا ؟

قال الزبير بن العوام : ماذا نفعل لو هبر سيف من أسيافنا عمار بن ياسر ؟

قالــوا : ماذا نصنع لرجل جاء لقتالنا ؟

قال الزبير بن العــوام :

ــ سنكون الفئة الباغية ، لقــد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كنا نبنى مسجد قباء يقول لعمار بن ياسر : يا عمار تقتلك الفئة الباغيه •

وأشار الزبير لأصحابه فتركوا أرض القتال لمن يريدون لنار الفتنة الا تنطفــىء •

فى مــكة •••

وطار خيــال الزبير إلى مكة •••

لقــد نشأ فى بيت الشرف ، فوالده العــوام بن خــويلد وعمته خــديجة بنت خــويلد زوج النبى عليه الصلاة السلام ، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمــة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومات أبوه وهــو صغير فكانت أمه تعلمه الشجاعة والفروسية •• ضربته يوما فقيل لهــا :

ــ قتلته • خلعت فؤاده • أهلكت هــذا الغلام •••

قالت صــفيه بنت عبد المطلب :

ــ إنمــا أضربه كى يلب ، ويجر الجيش ذا الجلب ••

وقاتل الزبير بن العــوام بمكة وهــو غلام رجلا فكسر يده وضربه ضربا شــديدا فمر الرجل على صفية بنت عبد المطلب فقالت :

ــ ما شــــأنه ؟

قالــوا : قــاتل الزبير •••

فقالت صفية بنت عبد المطلب :

كيــــف رأيــــت زبــــرا   أقطــا حسبته أم نمــــرا

أم مشمعلا صــقرا ؟

كان يحب الفروسية والصيد والقنص • ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره صار فارسا رغم صغر سنه •

ولما مات العوام كانت صفية بنت عبد المطلب تضرب ابنها الزبير وهو صغير وتغلظ عليه فعاتبها عمه نوفل بن خويلد وقال لها :
ـ ما هكذا يضرب الولد • إنك لتضربينه ضرب مبغضة ••

فقالت صفيه بنت عبد المطلب :

من قال أنى أبغضه فقد كذب   وإنما أضربه لكى يلب
ويهزم الجيش ويأتى بالسلب   ولا يكن لماله خبأ مخب
يأكل فى البيت من تمر وحب

وكانت أمه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب •• وكان الزبير بن العوام جزارا •

إسلامه •• وتعذيبه :

وذات ضحى لقى أبو بكر الزبير فقال فى فرح :
ـ زبير ؟ جئتك فى أمر ذى بال ••

فتساءل الزبير : أى أمر ؟

قال أبو بكر بن أبى قحافة :
ـ أنت أعلم الناس بابن خالك (محمد بن عبد الله) ومقدار صدقه وأمانته فهو زوج عمتك خديجة بنت خويلد •• وهو منكم •••

قال الزبير بن العوام :
ـ إن محمداً غير متهم فهو يؤدى الأمانة ويصل الرحم ويعين على نوائب الدهر •••

قال أبو بكر وهو يتلفت حوله ، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد :
ـ لقد هبط عليه ملك من السماء وأخبره أنه نبى هذه الأمة وأمره أن يدعو إلى عبادة الله وحده ••

فنظر الزبير نحو الكعبة وطاف بصره على الأصنام المبثوثة حولها وتساءل :

ــ أيكفر باللات والعزى ومناة وهبل ؟

قال أبو بكر بن أبى قحافه :

ــ نعم إنه يدعو إلى نبذ عبادة الأصنام ، وإلى عبادة الله الواحد الأحد ..

فقال الزبير : ومن تبعه على دينه هذا ؟

قال أبو بكر :

ــ أنا وعلى بن أبى طالب وزيد بن حارثة وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ..

قال الزبير بن العوام معاتبا :

ــ لماذا لم تخبرنى من قبل ؟

قال أبو بكر فى فرح :

ــ هل تريد أن تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال الزبير بن العوام : نعم .

فانطلقا إلى بيت النبى عليه الصلاة والسلام فتلا النبى عليه الصلاة والصلام على الزبير القرآن ودعاه إلى الإسلام فنطق بشهادة الحق ففرحت عمته خديجة فرحا شديدا بإسلامه ..

وكان أحد السبعه الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام .

ودخل فى دين الله بعض أهل مكة وأسلم الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ، وجعل من داره دارا للإسلام فدخلها النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصلوا فيها .

وذاع فى مكة أن محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، وعلم نوفل بن خويلد (ابن العدوية) عم الزبير أنه تبع محمدا فقال له :

ــ كيف تترك آلهة آبائك وتتبع إله محمد ؟

قال الزبير بن العوام : أتحاجونى فى الله وقد هدانى ؟

فتساءل نوفل بن خويلد : أرنى إلهك هذا ؟

قال الزبير بن العوام :

ــ « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

قال ابن العدوية : لقد سحرك محمد ...

قال الزبير بن العوام .

ــ بل أخرجنى من الظلمات إلى النور ...

فركب الغضب نوفل بن خويلد ، ونسى شرف الزبير بن العوام فى قومه فلفه فى حصير وعلقه فى جذع نخلة وأخذ يدخن عليه بالنار كى تزهق أنفاسه ، وناداه تحت وطأة العذاب :

ــ اكفر برب محمد أدرأ عنك العذاب ...

فيقول الزبير : لا والله لا أعود للظلام بعد النور .

وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم آلهة قريش ، فاشتدت عداوة قريش للنبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه ، ولكن الله منع نبيه بعمه أبى طالب ، وأنزل أشراف قريش باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد العذاب وكان المسلمون يأتون النبى عليه الصلاة والسلام ما بين مضروب ومشجوج ، فيتأثر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول :

ــ اصبروا ...

ولقد صبر الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة بن الجراح وقد نزل بهم أذى كبير فقالوا :

ــ يا رسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا ضربنا وأوذينا فأذن لنا فى قتال هؤلاء ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ كفوا أيديكم عنهم .

هجـرته الأولى إلى الحبشـة :

ولمـا كثر المسلمون وظهر الإيمان وتحـدث به ثار كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم ، فعـذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :

ـ تفرقـوا فى الأرض ...

فقالـوا : أين نذهب يا رسول الله ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ههنا ..

وأشار إلى الحبشه (وكانت أحب الأرض إليه أن يهاجر قبلها) .

فخرج عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو حـذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو والزبير ابن العـوام بن خـويلد بن أسد ومصعب بن عمير بن هاشم ، وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عـوف وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ومعـه امرأته أم سلمة هند بنت أبى أمية بنت المغيرة ، وعثمان بن مظعـون وعامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى حثمه ، وأبو سبرة بن أبى رهم العامرى ، وحاطب بن عمرو ، وسهيل بن بيضاء .. خرجوا متسللين فى رجب من السنة الخامسة من حين نبىء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إلى الشعيبة منهم الراكب والمـاشى ، فحملهم سفينتان للتجار إلى الحبشة بنصف دينـار فأقاموا شهر شعبان وشهر رمضان وعلموا أن عمر بن الخطاب قـد أسلم ، وأن المسلمين أصبحوا يصلون فى المسجد ويقرءون القرآن فيه آمنين مطمئنين فقـدموا مكة فى شهر شوال سنة خمس .

أول سيف سـل فى سبيل الله :

وسرت فى مكة نغمة (نفخة من الشيطان) أن محمدا صلى الله عليه وسلم أخـذ (قتـل) فركب الغضب الزبير بن العـوام ! كيف يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن قتله ؟ فسل سيفه وخرج يشتد فى الأزقـة (جمع زقاق أى السكة) فلقيه النبى عليه الصلاة والسلام وهـو بأعلى مكه والسيف فى يده فلم يصدق الزبير عينيه ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال حيـا ؟

تساءل النبى عليه الصلاة والسلام : مالك يا زبير ؟

قال الزبير بن العـــوام : سمعت أنك قتلت •••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنت تصنع ؟

قال الزبير بن العـــوام : كنت أضرب بسيفى هـــذا من أخـــذك (قتلك) •

فدعا له النبى عليه الصلاة والسلام ولسيفه •• ثم قال : انصرف •••

فانصرف الزبير •• ومعه سيفه الذى كان أول سيف سل فى سبيل الله (فى الإسلام) •

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الزبير وعبد الله بن مسعود •

الهجرة الثانية إلى الحبشة :

واشتدت قريش على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطت بهم عشائرهم ، ولقـــوا منهم أذى شديدا ، ونالوهم بالأذى فأذن لهم النبى عليه الصلاة والسلام فى الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية فقال عثمان بن عفـــان :

ـ يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهـــذه الآخرة إلى النجاشى ولست معنا •••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ أنتم مهاجرون إلى الله وإلىّ ، لكم هاتان الهجرتان جميعا •••

قال عثمان بن عفان : فحسبنا يا رسول الله •

فخرج الزبير بن العـــوام مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا ثلاثة وثمانين رجلا ومن النساء إحـــدى عشرة امرأة قرشيه وســـبع غـــرائب •

ولـــا رأت قريش أن المهاجرين قـــد اطمأنوا بالحبشة وآمنوا وأن النجاشى قـــد أحسن صحبتهم ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى أمية ومعهما هـــدية إليه وإلى أعيان أصحابه فسارا حتى وصلا الحبشه فحملا إلى النجاشى هـــديته وإلى أصحابه هـــداياهم وقالا لهم :

— إن ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دين الملك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم (خائفا أن يسمع النجاشى كلام المسلمين فلا يسلمهم) فوعدهما أصحاب النجاشى المساعدة على ما يريدان •

ثم حضرا عند النجاشى فأعلماه ما قالاه فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما • فغضب من ذلك وقال :

— لا والله لا أسلم قوما جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان ، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما وإن كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم •

ثم أرسل النجاشى إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحضروا • وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبى طالب فقال لهم النجاشى :
— ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من الملل ؟

فقال جعفر :
— أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ، ويأكل القوى الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله وألا نشرك به شيئا ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وأمرنا بالصلاة والصيام ••

وعدد عليه أمور الإسلام واستطرد :
— فآمنا به وصدقناه ، وحرمنا ما حرم علينا ، وحللنا ما أحل لنا ، فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك ••

متسائل النجاشي :

ــ هــل معك ممــا جاء به عن الله شيء ؟

قال جعفر بن أبي طالب :

ــ نعم « **بسم الله الرحمن الرحيم ، كهيعص ، ذكر رحمت ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداء خفيا ، قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ، يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضــيا** » فبكى النجاشي وأساقفته ، وقال ملك الحبشة :

ــ إن هــذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحــدة ، انطلقا والله لا أسلمهم إليكما أبدا •

فلمــا خرج عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية من عند النجاشي قال عمرو بن العاص :

ــ والله لآتينه غــدا بمــا يبيد خضراءهم •

فقال عبد الله بن أبي أمية (كان أتقى الرجلين) :

ــ لا تفعل فإن لهم أرحــاما •

فلمــا كان الغــد قال عمرو بن العاص للنجاشي :

ــ إن هــؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قــولا عظيما ••

فأرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن قــولهم في المسيح فقال جعفر :

ــ نقــول فيه الذي جاءنا به نبينا : هــو عبد الله ورسوله وروحــه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العــذراء البتول •

فأخــذ النجاشي عــودا من الأرض وقال :

ــ ما عــدا عيسى ما قلت هــذا العــود •

فنحرت بطارقتــه فقال النجاشي :

ــ وإن نخــرتم (تشــاجرتم) •

وقــال للمسلمين :

ــ ادهبوا فأنتم آمنون • ما أحب أن لى جبلا من ذهب وأنى آديت رجلا منكم •

ورد هــدية قريش وقال :

ــ ما أخــذ الله الرشوة منى حتى آخــذها منكم ، ولا أطاع الناس فى حــق أطيعهم فيــه •

فأقام المهــاجرون بخير دار •

وضاق رجال الدين فى الحبشة بما قرأ جعفر بن أبى طالب من آيات الذكر الحكيم ، وزاد من ضيقهم موافقة النجاشى على أن المسيح رسول الله فأخذوا يؤلبون الناس عليه حتى مشى الناس إلى قصر الملك وقالوا للنجاشى :

ــ إنك فارقت ديننــا ••

وخرجوا عليه • ونشب القتال بين النجاشى ومن ثاروا عليه فقال السكران ابن عمــــرو :

ــ يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لا ننضم إلى الرجل الذى أكرم مثــــوانا ؟

قال جعفر بن أبى طالب :

ــ إنا نخشى أن يظهر الرجل الذى يقود الناس على النجاشى فلا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه ••

قال الزبير بن العــوام : لم لا نرسل نفرا منا إلى النجاشى ونرى رأيه ؟

قال جعفر بن أبى طالب :

ــ سأذهب إلى النجاشى وسأصحب معى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عــــوف •••

وقبل أن ينتهى جعفر من حـديثه جاء رجل من عند النجاشى وقال :

ـ يا أصحاب محمد بعثنى الملك لأقول لكم : اركبوا أنتم السفينة وكونوا كما أنتم فإن هزمت فامضوا إلى حيث شئتم وإن ظفرت فاثبتوا ..

ودارت المعركة بين الفريقين وأتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفنهم يرقبون القتال وقلوبهم واجفة يدعون الله فى إخلاص وصـدق أن يؤيد النجاشى بنصره . واشتد القتال . فبعث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العـوام وأبا عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عـوف ليرقبوا القتال ثم يأتوا بالخبر . فعادوا فرحين وقالوا :

ـ ألا أبشروا فقد ظفر النجاشى وأهلك الله عدوه ومكن له فى بلاده .

وكان المهـاجرون يشتغلون ليأكلون من كـد أيديهم ، ويعمـل بعضهم بالتجارة ، فينطلق أبو حـذيفة بن عتبة والزبير بن العـوام وعبد الرحمن بن عـوف وعثمان بن عفـان إلى أسواق صنعاء ونجران ، وكان خروجهم فى الشتاء ليلتقوا بالخارجين من قريش ليتحسسوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليخلوا ببعض المسلمين الذين خرجوا فى قافلة قـومهم .

وعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـد بايع الأنصار عند العقبة (أوس وخزرج يثرب) فأخبر أصحابه المهاجرين فانطلق أبو سلمة المخزومى والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وأبو حـذيفة وامرأته سهلة بنت سهيل وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبى خثمة وعثمان بن عفان وامرأته رقيـة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش و .. إلى مكة .

هجـرته إلى يثرب ...

واشتدت عـداوة قريش ضراوة لمـا أيقنوا أن النبى عليه الصلاة والسلام آوى (استند إلى قوم أهـل حرب وتحمل) وقـد بايع الأوس والخزرج على أن يمنعوه ممـا يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وأنهم قبلوه صلى الله عليه وسلم على مصيبة الأموال وقتل الأشراف .. فنالوا من أصحابه ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى ، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى يثرب .. ولحق بهم .

الطـــلب •••

بلغ الزبير بن العـــوام وأصحابه سفوان (موضعا من البصرة كمـــكان القادسيه من الكوفة) فلقيه البكر (الردىء الفسل من الناس) رجـــل من بنى مجاشـــع فقـــال :

ـــ أين تذهب يا حـــوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ إلىّ فأنت فى ذمتى لا يوصـــل إليك •

فأقبل معه وأتى إنسان الأحنف بن قيس فقال :

ـــ هـــذا الزبير قـــد لقى بسفوان •••

فقـــال الأحنف بن قيس :

ـــ ما شاء الله كان قـــد جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيوف •• ثم يلحق ببنيه وأهله ؟

فسمعه عمرو (عميرة ويقال عمير) بن جرموز السعدى فقال :

ـــ أتى بؤرش بين الناس ، ثم تركهم والله لا أتركه ••

واتبعـــه هـــو وفضاله بن حابس ونفيع •

مـــع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجدا بقباء وكان لكلثوم ابن الهـــدم مربد (محـــل) يجفف فيـــه التمر فلما علم برغبـــة النبى عليه الصلاة والسلام هـــدم مربده ليكون أول مسجد أسس على التقوى •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـــ يا أهـــل قباء ائتونى بأحجار من الحرة •••

فجمعت أحجار كبيرة فخط النبى عليه الصلاة والسلام القبله ثم بدأ البنـــاء فكان يأخـــذ الحجر حتى يتعبـــه • فيأتى الزبير أو أبو بكر أو عمر أو أبو عبيدة بن الجراح فيقول :

ـــ يا رسول الله بأبى أنت وأمى تعطينى أكفيك ••

ويأخذ الزبير أو أبو بكر وعمر الحجر فيقول النبى عليه الصلاة والسلام :
— لآخـذن مثـله •

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فآخى بين الزبير بن العـوام وسلمة بن سلامة بن وقش الأنصارى •

ويوم بدر لم يكن مع أحـد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس إلا الزبير بن العـوام وكانت عليه يومئذ عمامة صفراء كان معتجرا بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
— إن الملائكة (يوم بدر) نزلت على سيماء الزبير •

ولمـا نزل قوله تعالى « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » **فقال الزبير :**
— يا رسول الله وأى النعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والمـاء ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام .
— أما إنه سيكون ••

ولمـا كان يوم أحـد أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وكان مكتوبا فى إحـدى صفحتيه :

فى الجبن عار وفى الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وتساءل النبى عليه الصلاة والسلام :
— من يأخـذ هـذا السيف بحقـه ؟

فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، من بينهم ، على بن أبى طالب فقال لـه رسول الله صلى الله عليه وسلم :
— اجلس •••

وقام عمر بن الخطاب فأعرض النبى عليه الصلاة والسلام عنه وطلبـه الزبير بن العـوام ثلاث مرات فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنـه حتى قام أبو دجانة وتساءل :
— ما حقـه يا رسول الله ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى ...

فقال أبو دجانه : أنا آخذه بحقه ...

فدفعه إليه النبى عليه الصلاة والسلام .

وخرج رجل من بين صفوف قريش على بعير له فدعا للمبارزة فأحجم عنه المسلمون حتى دعا ثلاثا فقام إليه الزبير بن العوام فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير . فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ الذى يلى حضيض الأرض مقتول ...

فوقع الرجل المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه فكبر المسلمون ، وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزبير وقال له :

ـ لكل نبى حوارى وإن حوارى الزبير ...

ثم أردف صلى الله عليه وسلم :

ـ لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه .

وثبت أبو عبد الله يوم أحد حين انكشف المسلمون وفروا فى كل وجه ، وقال له النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ ارم فداك أبى وأمى ...

فكان الزبير يقول :

ـ جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبويه) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الزبير بن العوام فى المهام الصعبة ، فقد قدم على النبى عليه الصلاة والسلام فى صفر سنة أربع عقب غزوة أحد رهط من عضل والقارة فقالوا :

ـ يا رسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام .

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم سته من أصحابه وهم : مرثد بن أبى مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبى الأفلح وخبيب بن

عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق • وذات ضحى كان النبى عليه الصلاة والسلام جالسا مع أصحابه فى مسجده يفقههم فى أمور دينهم فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحى فسمعوه يقول ·
— وعليه السلام ورحمة الله وبركاته •

ولما سرى عنه صلى الله عليه وسلم قال :
— هذا جبريل عليه السلام يقرئنى من خبيب السلام • خبيب قتله قريش ••

لقد غدر رهط عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ثم نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجالسين حوله وتساءل ·
— أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة ؟

ليست المهمة سهلة فمن يستطيع أن يذهب إلى مكه ويقوم بهذا العمل ورجال قريش حول خشبة خبيب بن عدى • لكن أى أجر أفضل من الجنة ؟

فقال الزبير بن العوام :
— أنا يا رسول الله وصاحبى المقداد بن عمرو •••

وانطلق الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو إلى التنعيم فوجدا خبيب بن عدى مصلوبا على خشبة طويلة عندها أكثر من أربعين رجلا لكنهم سكارى ونيام فأنزلاه (وذلك بعد أربعين يوما من صلبه وموته) وحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شىء • وشعر بالزبير والمقداد رجال قريش فتبعوهما فلما لحقوا بهما قذف الزبير خبيب بن عدى فابتلعته الأرض (ومن ثم قيل له بليع الأرض) وكشف الزبير عمامته عن رأسه ووقف كالأسد الغاضب :

— أنا الزبير بن العوام وصاحبى المقداد بن الأسود (كانا فارسين) رابضان يذبان عن شبلهما فإن شئتم ناضلناكم وإن شئتم انصرفتم •

فانصرف رجال قريش عنهما • ولما قدم الزبير والمقداد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل فقال له :

ـ يا محمد إن الملائكة تباهى بهذين الرجلين (الزبير والمقداد) من أصحابك .

ونزل فيهما قوله تعالى : « **ومن النّاس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله** » .

ويوم الخندق حاصر الأحزاب المدينة فاشتد الأمر على النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى قريظة قد نقضوا عهده وشقوا الكتاب الذى كتبه صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن الخطاب .

ـ يا رسول الله بلغنى أن بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت .

فشق الأمر على النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

ـ من يأتينى بخبر القوم ؟

قال الزبير بن العوام : أنا ..

وكرر رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤاله ثلاث مرات .. والزبير يقول : أنا ...

وذهب الزبير فوجد بنى قريظة قد نقضوا العهد ، فعاد إلى النبى عليه الصلاة والسلام وأخبره فقال :

ـ إن لكل نبى حواريا وحوارى الزبير .

ولما قتل على بن أبى طالب فارس العرب عمرو بن عبد ود رجع من وصل الخندق من فرسان قريش هاربين فتبعهم الزبير بن العوام وحمل على هبيرة بن أبى هبيرة فضرب ثغر فرسه فقطعه وسقطت درع كان محقبها الفرس (جعلها مؤخر ظهرها) فأخذها الزبير والقى عكرمة بن أبى جهل رمحه وهو مهزوم . وهزم الله الأحزاب فأرسل عليهم ريحا صرصرا فى ليال باردة .. ولما رحلوا خائبين إلى بلادهم أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخرج إلى بنى قريظة ، فحاصرهم وحين طال الحصار دون أن يستسلموا أرسل النبى عليه الصلاة والسلام الزبير بن العوام وعلى بن أبى طالب فوقف أمام الحصن المنيع يردد مع على قوله :

ـ والله لنذوقن ما ذاق حمزة أو لنفتحن عليهم حصنهم .

ثم ألقيا بنفسيهما وحيدين داخل الحصن .. فلما رأى يهود بنى قريظة الزبير وعليا نزل الرعب فى قلوبهم وفتحا أبواب الحصن المسلمين فتدفقوا كالسيل المدمر .

ولما نزلت « ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » قال الزبير ابن العوام :

— يا رسول الله أيكرر علينا (أيردد علينا) ما كان فى الدنيا مع خواص الذنوب ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . نعم .

قال الزبير بن العوام · والله إنى لأرى الأمر شديدا .

وخرج الزبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى العام السادس من الهجرة إلى العمرة فصدتهم قريش عن البيت الحرام .. فبايع الزبير النبى عليه الصلاة والسلام بيعة الرضوان هو وأصحابه . وشهدوا صلح الحديبية .

وذات يوم كان حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وزوج أسماء بنت أبى بكر جالسا مع أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام فى مسجده فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقال :

— يا زبير ، إنى رسول الله إلى الناس عامة وإليك خاصة أتدرى ماذا قال ربكم حين استوى على عرشه ؟

فقال الزبير والحاضرون :

— الله ورسوله أعلم ...

فنظر النبى عليه الصلاة والسلام خلفه وقال .

— عبدى أنفق أنفق عليك ، ووسع أوسع عليك ، ولا تضيق فأضيق عليك . إن باب الرزق مفتوح من فوق سبع سماوات ، متواصل إلى العرش لا يغلق فى الليل ولا فى النهار . ينزل الله الرزق على كل امرىء بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته ، من أكثر أكثر الله له . يا زبير إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار ، وإن السخاء من اليقين ؛ والبخل من الشك ، ولا يدخل النار من أيقن ، ولا يدخل الجنة من شك . يا زبير ، إن الله يحب السخاء ولو بفلق تمرة ، ويحب الشجاعة ولو بقتل حية أو عقرب .

ويوم خيبر خرجت كتائب اليهود يتقدمهم فارسهم ياسر • والتقى الجمعان وكان قتالا شديداً •

وخرج ياسر أخو مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى ياسر شاكى السلاح بطل مغاور
إذا الليوث أقبلت تبادر إن حماى فيه موت حاضر

ثم طلب المبارزة • فخرج إليه الزبير بن العوام • فقالت صفية بنت عبد المطلب (عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

ـ يا رسول الله إنه يقتل ابنى ••

فتبسم النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

ـ بل ابنك يقتله إن شاء الله ••

ولما اقترب الزبير من ياسر قال :

قد علمت خيبر أنى زبار
قرم لقرم غير نكس فرار
ابن حماة المجد ابن الأخيار
ياسر لا يغررك جمع الكفار
فجمعهم مثل السراب الختار

ولم يمهل الزبير ياسر فضربه ضربة تركته كأمس الدابر • فكبر المسلمون • ثم حمل على بن أبى طالب على الحصن وتبعه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتحموه ••

وأتى النبى عليه الصلاة والسلام بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنو بنى النضير فسأله عنه فجحد أن يكون يعرف مكانه وقال :

ـ نفد فى النفقة والحروب ••

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ كان أكثر من ذلك ••

وجاء رجل من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

— يا رسول الله إنى رأيت كنانة يطيف بهــذه الخربة كل غــداة ...

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانه بن الربيع :

— أرأيت إن وجــدناه عندك أقتلك ؟

قال كنــانة : نعم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنز بنى النضير . ثم سأل النبى عليه الصلاة والسلام كنانة بن الربيع عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام به فقال .

— عــذبه حتى نستأصل ما عنده .

فراح الزبير بن العــوام يقــدح بزند فى صــدره حتى أشرف على نفســه ، وجىء بكنز بنى النضير فإذا به أساور ودمالج وخلاخيل وأقرطه وخواتم من ذهب وعقــود الجــوهر والزمرد ..

ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقــه بأخيه محمود بن مسلمه ...

وشهد الزبير بن العــوام مع النبى عليه الصلاة والسلام عمرة القضاء .

ولــا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة أمر الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجــه الذى يريده ، وجعل بكل طريق جماعة تعرف من يمر بها ، وقال لهم النبى عليه الصلاه والسلام :

— لا تدعــوا أحــدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتمــوه .

وكتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه لسارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب وجعل لهــا جعلا على أن تبلغه قريشا . فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به ..

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بمــا صنع حاطب ابن أبى بلتعة فبعث النبى عليه الصلاة والسلام على بن أبى طالب والزبير بن العــوام فقال :

ـ تدرك امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعتم له من أمرهم •

فخرجا حتى أدركاها بالخليقة . فاستنزلاها فالتمساه فى رحلها فلم يجدا فيه شيئا •

فقال على :

ـ إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ••

فلما رأت الجد منه قالت : أعرض ••

فأعرض على • فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه فأتى به النبى عليه الصلاة والسلام • فدعا حاطب بن أبى بلتعة فسأله :

ـ يا حاطب ما حملك على هذا ؟

قال حاطب بن أبى بلتعة :

ـ يا رسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ، ما غيرت ولابدلت ، ولكنى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم •••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق لا تقولوا له إلا خيرا ••

فقال عمر بن الخطاب :

ـ يا رسول الله دعنى أضرب عنقه فإن الرجل قد نافق ••

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أتقتل رجلا من أهل بدر ؟ وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم •

وأنزل الله تعالى فى حاطب بن أبى بلتعة :

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون

إليهم بالمودة وأنا أعلم بمـا أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقـد ضـل سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ودوا لو تكفرون » ..

ويوم أن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل الزبير بن العوام على إحـدى مجنبتى جيشه وخالد بن الوليد على الأخرى وأبا عبيدة بن الجراح على الرجالة وأعطى النبى عليه الصلاه والسلام الزبير بن العوام رايته وأمره أن يغرزها بالحجون .

وبعـد أن فتح الله أم القرى وطهر النبى عليه الصلاة والسلام الكعبة من الأصنام والأوثان التى كانت حولها ودخل أهلها فى دين الله أفواجا وقـع الرعب فى قلوب رجال من هوازن وثقيف فمشوا بعضهم إلى بعض وقالوا : قـد فرغ لنـا فلا ناهية ..

ـ والله إن محمدا وصحبه لاقـوا أقـواما لا يحسنون القتال .

وراح مالك بن عـوف النصرى يحشد الجموع . فلمـا سمع النبى عليه الصلاة والسلام بخبرهم انطلق إليهم ومعه ألفان من أهل مكة (الطلقاء) وعشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معـه من المدينه . فلمـا كان المسلمون بحنين وانحـدروا إلى الوادى ، وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم مالك بن عوف ومن معه ، وكانوا كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه ، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحـد واستقبلوهم بالنبل كأنهم جراد منتشر .. فانهزم المسلمون ، وكان الطلقاء أول من ولوا الأدبار وفروا .

ولمـا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس منهزمين صار يقول ،
ـ أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله إنى عبد الله ورسوله .

ثم طلب من عمه العباس وكان عظيم الصوت :
ـ يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار يا أصـحاب السمرة . يا أصـحاب سـورة البقـرة .

فأقبل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون :
ـ لبيك لبيك يا رسـول الله .

وأبصر الزبير بن العوام عـوف بن مالك النصرى بن جنده فاقتحم حشده وحـده فشتت شملهم وأزاحهم عن المكمن الذى كانوا يتربصون فيه ببعض جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكان النصر لله ورسوله •

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصار الطائف نظر النبى عليه الصلاة والسلام لحواريه الذى باع نفسه وماله لله عز وجل نظرة تقـدير فلمـا رأى شاعره حسان بن ثابت ذلك قال مادحا الزبير :

أقـام على منهاجـه وطريقـه يوالى ولى الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى يصول إذا ما كان يوم محجل
له من رسول الله قربى قريبة ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذب الزبير بسـيفه عن المصطفى والله يعطى ويجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبـله وليس يكون الدهر ما دام يذبل
ثناؤك خير من فعـال معاشر وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

لم يكن الزبير فارسا فحسب بل كان صاحب سيف صارم ورأى حازم ، وكان لمولاه مستكينا وبه مستعينا ، وكان سخيا باذل الأموال •

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرب الروم عقد الألوية فدفـع لواءه الأعظم لأبى بكر الصديق ، ورايته للزبير بن العوام ودفع راية الأوس لأسيد بن حضير ، وراية الخزرج للحبـاب بن المنذر ودفع لكل بطن من الأنصار ومن القبائل لواء •

حوارى رسول الله •• يوم اليرموك :

ويوم اليرموك جعل خالد بن الوليد جيشه كراديس ، جعـل على كل كردوس رجلا شجاعا ، وكان الزبير شديد الولع بالشهادة عظيم الحرص على الموت ، فلمـا رأى أكثر المقاتلين يتقهقرون أمام جحافل الروم صاح بأعلى صــوته :

ـ الله أكبر •

واخترق جيش الروم بسيفه •• ثم عاد راجعا وسط الأمواج الزاحفـة وسيفه يتوهج فى يمينه • كان يسعى إلى الشهادة فى سبيل الله •• فيكتب الله لـه النصر •

قــال عمــر بن الخطاب :
ـ إن الزبير ركن من أركان الدين .

وكان الزبير يقــول :
ـ إن طلحة بن عبيد الله يسمى بنيه بأسماء الأنبياء ، وقــد علم أن لا نبى بعــد محمد صلى الله عليه وسلم وإنى لأسمى بنى بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون .

وهكذا سمى ولده عبد الله (كان به يكنى) تيمنا بالصحابى الشهيد عبد الله ابن جحش ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمنذر تيمنا بالصحابى الشهيد المنذر بن عمرو . وعروة تيمنا بالصحابى الشهيد عروة بن عمرو . وحمزة تيمنا بأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب . وجعفر تيمنا بالشهيد طائر الجنة جعفر بن أبى طالب . ومصعب تيمنا بالصحابى الشهيد مصعب بن عمير . وخالد تيمنا بالشهيد خالد بن سعيد .

كان يختار لأسماء أبنائه أسماء الشهداء راجيــا أن يكونوا يوم تأتيهم آجالهم شــهداء .

اكرم النـــاس على رسول الله :

سأل أبو إسحاق السبيعى مجلسا فيه أكثر من عشرين رجــلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ـ من كان أكرم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالــوا : الزبير وعلى بن أبى طالب ..

وذات يوم خرج الزبير بن العوام مع شيخ قــدم من الموصل فى بعض أسفاره فأصابته جنابة بأرض قفر فقال الزبير للشيخ :
ـ اســـــترنى ..

فستره فحانت منه التفاتة منه إلى الزبير فرآه مجــذعا بالسيوف فقال :
ـ والله لقــد رأيت بك آثارا ما رأيتها بأحــد قط .

فتساءل الزبير : وقــد رأيت ذلك ؟

قـــال الشيخ : نعم •

قـــال الزبير :

ــ أما والله ما منهـــا جراحـــة إلا مـــع رســـول الله صلى الله عليه وسلم فى ســـــبيل الله •

وكان الزبير بن العوام طويلا تخط رحلاه الأرض إذا ركب راحلة ، معتدل اللحم خفيف اللحية أسمر الوجـــه •

وســـأله ابنه عبد الله يوما .

ــ لـــماذا تروى أحاديث قليلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قـــال الزبير بن العـــوام :

ــ كان بينى وبينه من الرحم ما قـــد علمت ، ولكنى سمعته يقول : من قال علىّ ما لم أقـــل فليتبوأ مقعـــده من النار •

وسمع عبد الله بن عمر رجلا يقول :

ــ أنا ابن الحـــوارى •

فقال عبد الله بن عمر : ان كنت ابن الزبير وإلا فلا •••

وسأل محمد بن ســـلام يونس بن حبيب :

ــ ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : حواريى الزبير :

قـــال يونس :

ــ من خلصائه (الحوارى الخليل • الحوارى الناصر • الحوارى الصـــاحب المستخلص) •

يقـــول قتـــادة :

ــ الحواريون كلهم من قريش : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عـــوف وسعد ابن أبى وقاص وطلحة والزبير •

وكان الزبير يدير تجارة ناجحه وكان ثراؤه عريضا فقيل له يوما :

ــ بم أدركت فى التجارة ما أدركت ؟

قال حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ إنى لم أشتر عيبا ولم أرد ربحا والله يبارك لمن يشاء •

وكان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فما كان يدخل بيته منها درهم واحـــد (يعنى أنه يتصـــدق بذلك كله) •

بقـــول عروة بن الزبير :
ـــ كان فى الزبير ثلاث ضربات بالسيف ، كنت أدخل أصابعى فيها : ثنتين يوم بدر وواحـــده يوم اليرموك •

وكانت أم المؤمنين عائشة تقول لعروة بن الزبير :
ـــ كان أبوك من الذين استجابوا لله والرسول من بعـــد ما أصابهم القـــرح (تريد أبا بكر والزبير) •

ولـــا طعن عمر بن الخطاب بخنجر أبى لؤلؤة جعل الزبير فى الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعـــده •

وشهد الزبير فتح مصر ، ولـــا أصاب أمير المؤمنين عثمان بن عفان الرعاف (الدم يخرج من الأنف) فقالوا لـــه :

ـــ اســـــتخلف ••
قال أمير المؤمنين عثمان : نعم ••
قالـــوا : من هـــو ؟

فسكت أمير المؤمنين عثمان • فدخـــل عليه رجل من قريش وقال :
ـــ يا أمير المؤمنين استخلف ••
فقال ذو النورين : نعم ••
فقالـــوا : من ؟
قال أمير المؤمنين عثمان :
ـــ الزبير بن العوام • أما والذى نفسى بيده إن كان لأخيرهم ما علمت وأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وأوصى إلى الزبير سبعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم : عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقـــداد بن الأسود وعبد الله ابن مسعود ، فكان يحفظ على أولادهم ما لهم وينفق عليهم من ماله •

مقتل حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نزل الزبير بن العوام وادى السباع فقام يصلى الظهر ....

ولحق عمرو بن جرموز بالزبير فلما رأى الزبير أنه يريده أقبل على فرسه ذى الخمار فقال له عمرو بن جرموز :

ـ أذكرك الله ..

فكف أبو عبد الله عنه . ولكن عمرو بن جرموز عاد يريده فقال الزبير :

ـ قاتله الله يذكرنا الله وينساه ؟

فأتاه عمرو بن جرموز من خلف فطعنه طعنة خفيفة فحمل عليه الزبير بن العوام فلما رأى ابن جرموز أنه قاتله نادى صاحبيه :

ـ يا نفيع يا فضالة .

فحملوا عليه حتى قتلوه ..

وكان ابن سبع وستين سنة . ثم حمل عمرو بن جرموز سيف الزبير إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فأمر بطرده وقال :

ـ بشر قاتل ابن صفيه بالنار ..

وحين أدخل عليه سيف الزبير قبله أمير المؤمنين على وأمعن فى البكاء وقال :

ـ سيف طالما والله جلا به صاحبه الكرب عن رسول الله .

فسلام على حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أبو عبيدة بن الجراح

« لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ
الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ »

حديث نبوى شريف

رجـل بألف رجـل ...

منذ أن أسلم أبـو عبيدة بن الجراح على يـد أبى بكر فى الأيام الأولى للإسلام وقبل أن يدخـل النبى عليه الصلاة والسلام دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى وهب عامر بن عبد الله بن الجراح حياته فى سبيل الله عز وجل .

ونال أبو عبيدة نصيبه من الأذى والاضطهاد على أيدى مشركى قريش، فخرج مهاجرا إلى الحبشة الهجرة الثانية مع ثمانين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجون رحمة الله عز وجل .وأنزل الله تعالى فيهم :

« والذين هاجروا فى الله من بعـد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » .

ورجع أبو عبيدة بن الجراح إلى أم القرى لـما علم أن الأنصار قـد بايعوا النبى عليه الصلاة والسلام .. ثم هاجر من مكة إلى يثرب ونزل على كلثـوم بن الهـدم .

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حـذيفة . (مؤاخاة المهاجرين التى كانت فى مكة) وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار (فى يثرب) فآخى بين أبى عبيدة ومحمد بن مسلمه الأنصارى .

قطـع حبـال الجاهليـة ..

ويوم بدر خرج الجراح من بين صفوف المشركين وقصـد ابنه أبا عبيدة ليقتله فولى عنه أبو عبيدة بيد أن الجراح أصر على طلبه فرجع أبو عبيدة إلى أبيه وهبه بسيفه فقتله .. فأنزل الله عز وجل فيه : **« لا تجـد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبنـاءهم**

أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان » .. لقد خرج أبو عبيدة بن الجراح عن الشهوات النفسانية وقطع حبال الجاهلية لتشييد حبال الإسلام . لقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعلمهم وسكب فى صدورهم الهدى قطرة قطره ، وبذر فى نفوسهم بذور الحكمة وأصابها بغيث مدرار من أدب النبوة وحكمتها .

فى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وبلغ أبا عبيدة أن قريشا قد أقبلت باحابيشها ومن تبعها من كنانة وتهامة لتثأر ليوم بدر فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره .. فجمع النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه وقال لهم :

— أشيروا على ..

فقال رجل من الأنصار :

— يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا ...

وقال عبد الله بن أبى بن سلول :

— يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

وارتفعت أصوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل جانب تحبذ الخروج للقتال .. فدخل النبى عليه الصلاة والسلام داره .. فقال أبو عبيدة بن الجراح :

— استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لكم ذلك .

فندم الناس وقالوا :

— يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك فإن شئت فاقعد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل .

وتجهز أبو عبيدة بن الجراح وخرج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ...

وثبت أبو عبيده بن الجراح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انهزم المسلمون وولـوا ..

وأقبل أبو بكر الصـديق يسعى إلى النبى عليه الصلاه والسلام ، فإذا حلقتان من المغفر قـد دخلتا فى وجهه صلى الله عليه وسلم وإذا أبو عبيدة بن الجراح يقـول لأبى بكر :

ـ أسألك بالله يا أبا بكر إلا تركتنى فأنتزعه من وجـه رسول الله صلى الله عليـه وسـلم .

فتركه أبو بكر فأخـذ أبو عبيده بثنيتيه حلقة المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنيـة أبى عبيدة ثم أخـذ الحلقـة بثنيته الأخرى .. فصـار أبو عبيدة فى الناس أثرم .

وشهد أبو عبيدة بن الجراح مع النبى عليه الصلاة والسلام غزوة الخندق وبنى قريظـة ..

وسأل أبو عبيده بن الجراح النبى عليه الصلاة والسلام يوما :
ـ يا رسول الله أى الشهداء أكرم على الله عز وجل ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ـ رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ، فإن لم يقتله فإن القلم لا يجرى عليه بعـد ذلك وإن عاش ما عاش .

وذات يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى مسجده وعبد الله ابن عمر خلف أبيه فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ ثلاثة من قريش أصبح الناس وجـوها وأحسنها أخلاقا وأثبتها حياء إن حـدثوك لم يكذبوك وإن حـدثتهم لم يكذبوك : أبو بكر الصـديق وعثمان ابن عفان وأبو عبيدة بن الجراح .

سريته إلى ذى القصـة :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا إلى بنى ثعلبة وبنى عوال من ثعلبة بذى القصه بعـد أن أجـدبوا

بمحمد بن مسلمه الأنصارى وأصحابه ووضعوا فيهم السلاح فذهب أبو عبيدة ومن معه إلى مصارع أصحابه فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فانحدوروا بها إلى المدينة •

وعلم النبى عليه الصلاة والسلام أن بنى ثعلبه وبنى عوال يريدون أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه وبين المدينة سبعة أميال فبعث أبا عبيدة بن الجراح وأربعين رجلا فصلوا المغرب ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصعة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا فى الجبال وأسروا رجلا منهم وأخذوا نعما من نعمهم ورثة (نيابا خلقا من متاعهم) وقدموا بذلك إلى مدينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وأسلم الرجل فتركه النبى عليه الصلاة والسلام •

أمين هذه الأمة :

وذات ضحى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا فى مسجده فخرج النبى عليه الصلاة والسلام عليهم فقال :

— أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبى (ابن كعب) وأفرضهم زيد (ابن ثابت) وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ (ابن جبل) ألا وإن لكل أمة أمينا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح •

سرية الخبط :

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب إلى حى من جهينة فى ساحل البحر ليرصدوا عيرا لقريش •• وزودهم النبى عليه الصلاة والسلام جرابا من تمر •• فأقاموا بالساحل نصف شهر وكان أبو عبيدة يعطى الواحد منهم فى اليوم والليلة تمرة واحدة يمصها ثم يصرها فى ثوبه •

وأصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخبط (كانوا يأكلونه بعد أن يخبطوه بقسيهم وينسفوه ويشربوا عليه من الماء) حتى تقرحت أشداقهم • وجهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل منهم :

— والله لو لقينا عدوا ما كان منا حركة إليه لما بالناس من الجهد ••

فقال قيس بن سعد بن عبادة :

ـ من يشترى منى تمراً أوفيه فى المدينة بجزور يوفيها إلى ههنا ؟

فقال لـه رجـل من أهـل الساحل :

ـ أنا أفعـل لكن والله ما أعرفك فمن أنت ؟

قال قيس : أنا قيس بن سعـد بن عبادة ٠

فقـال الرجـل :

ـ ما أعرفنى بسعد إن بينى وبين سعد خله ٠٠ سيد أهل يثرب ٠

فاشترى خمس جزائر كل جزور بوسق (ستون صاعا) من تمر ٠٠
فقـال الرجـل :
ـ أشـهد لى ٠٠

قال قيس بن سعد بن عبادة : أشهد من تحب ٠٠٠

فأشهد الرجل نفرا من المهاجرين والأنصار من جملتهم عمر بن الخطـاب وأبو عبيدة بن الجراح ٠ وأخـذ قيس الجزر فنحر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة فى ثلاثة أيام وأراد أن ينحر لهم فى اليوم الرابع فنهاه أبو عبيدة بن الجراح وقال له :

ـ عزمت عليك ألا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك (لا يوفى لك بمـا الترمت ولا مال لك) ؟

فقـال قيس بن سـعد :

ـ أترى أبا ثابت (يعنى والده سعد بن عباده) يقضى ديون الناس ويطعم فى المجاعة ولا يقضى دينا استدنته لقوم مجاهـدين فى سبيل الله ؟ ٠

وألقى البحر دابة هائلة يقال لها العنبر مثل الكثيب فقـال أبو عبيدة بن الجـراح :

ـ ميتـة لا تأكلـوا ٠٠

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى سبيل الله ونحن مضطرون ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاكلوا منه عشرين ليله •• ولما قدموا مدينه رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم :

ــ ما حبسكم ؟

قالوا : كنا نبتغى عرات قريش •••

وذكروا له صلى الله عليه وسلم شأن الدابة التى مثل الكثيب (العنبر) فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ إنما هو رزق رزقكموه الله •• أمعكم منه شىء فتطعمونا ؟

قالوا : نعم ••

فقدموا إلى النبى عليه الصلاة والسلام منه فأكله •

وشهد أبو عبيدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعه الرضوان وصلح الحديبيه وفتح خيبر وعمرة القضاء • وكان أبو عبيدة بن الجراح يوم فتح مكة على الرجالة •

طاعة الأمراء :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى قضاعة لما بلغه أن جمعا منهم قد تجمعوا يريدون المدينة وعقد لعمرو لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعه ثلاثون فرسا ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستعين بمن يمر عليهم ، فسار الليل وكمن النهار حتى قرب من قضاعة فبلغه أن القوم جمعوا لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن كعب الجهنى إلى النبى عليه الصلاة والسلام فبعث إلى عمرو بن العاص أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين من سراة المهاجرين والأنصار منهم : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعقد له لواء وأمره أن يلحق بعمرو بن العاص وأن يكونا جميعا ولا يختلفا • فلحق بعمرو • وأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو بن العاص :

ــ إنما قدمت على مددا وأنا الأمير •••

فقال جمع من المهاجرين الذين مع أبى عبيدةلعمرو :

ــ أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه •••

فقال عمرو بن العاص : أنتم مدد لنا •

فلمـا رأى أبو عبيده بن الجراح الاختلاف قال :

ـ لتعلم يا عمرو أن آخر شيء عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : إن قـدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وإنك والله إن عصيتنى لأطيعنـك •••

فقال عمرو بن العاص : فإنى الأمير عليك •

فقال أبو عبيدة بن الجراح : فـدونك ••

وسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص لأن أبا عبيدة كان حسن الخلق لين العريكه •• فكان عمرو بن العاص يصلى بالناس •

رســول الله يكرم أبا عبيدة :

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يكرم أبا عبيدة بن الجراح •• فبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من الصحابة ومعه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وأبو امامة إذ أتى بقـدح فيه شراب فناوله النبى عليه الصلاة والسلام أبا عبيدة بن الجراح فقال :

ـ أنت أولى به يا رسول الله ••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ اشرب فإن البركة مع أكابرنا ، فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا فليس منـــا •

فأخـذ أبو عبيده القـدح •• وشرب •

وشهد أبو عبيدة مع النبى عليه الصلاة والسلام غزوة تبوك ••

ولـما قـدمت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلنـوا إسلامهم ودخل الناس فى دين الله أفواجا • وقـدم وفـد نجران باليمن قالوا :

ـ يا رسول الله ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام •••

فقال النبى عليه الصلاة والسلام .

ـ لأبعثن إليكم رجلا أمينا حـق أمين حـق أمين حـق أمين ••

قالها ثلاثا • فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فبعث معهم أباعبيدة بن الجراح •

يقـــول أبو هـــريرة :
ـــ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نعم الرجـــــل أبو عبيده ابن الجـــراح •

يرفـــض الخلافـــة :
ولمـــا قبض النبى عليه الصلاة والسلام •• وكان يوم السقيفه قـــال أبو بكـــر :
ـــ رضيت لكم أحـــد هـــذين الرجلين (يعنى عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجـــــراح) •

فقـــال عمر بن الخطـــاب :
ـــ والله لأن أقدم فأنحر كما ينحر البعير أحب إلى من أن أتقدم على أبى بكر •

وكان أبو عبيدة أمينا كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدها نهزة (فرصـــة) ليثب ويصبح خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقـــد كان مدركا تمـــام الإدراك أن أبا بكر أفضل المهاجرين •• فبايعه •• وبايعه النـــــاس •

يقـــول أبو هـــريرة :
ـــ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نعم الرجل أبو بكر • نعم الرجل عمر • نعم الرجل أبو عبيدة • نعم الرجل أسيد بن حضير • نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس • نعم الرجل معاذ بن جبل • نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح • نعم الرجل سهيل بن بيضاء •

ويقـــول عبد الله بن عبـــاس :
ـــ سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول : خالـــد بن الوليـــد سيف الله وسيف رسوله وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأبو عبيدة ابن الجراح أمين الله وأمين رسوله وحـــذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن وعبد الرحمن بن عـــوف من تجار الرحمن عز وجل •

وكما عاش أبو عبيدة بن الجراح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمينا يحمل مسئولياته فى أمانه تكفى أهل الأرض لو اغترفوا منها جميعا .. كذلك كان مع الخليفة الأول ..

ولما مات أبو بكر وبايع الناس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. كان أول قرار اتخذه الفاروق عزل خالد بن الوليد الذى كان يقود الجيوش فى الشام وولى أبا عبيدة مكان سيف الله المسلول .. فلم يكد أبو عبيدة يستقبل رسول الفاروق بهذا النبأ الجديد حتى استكتمه الخبر وكتمه هو فى نفسه طاويا عليه صدر زاهد ومقدرا موقف قائد يقود جيوش الإسلام فى موقعه كبرى حاسمة .. حتى أتم خالد بن الوليد فتحه العظيم .. عندئذ تقدم أبو عبيدة فى تواضع وأدب وقدم كتاب أمير المؤمنين عمر .. فقال خالد بن الوليد :

ــ يرحمك الله أبا عبيده ما منعك أن تخبرنى حين جاءك الكتاب ؟

فقال أمين هذه الأمه :

ــ إنى كرهت أن أكسر عليك حربك وما سلطان الدنيا نريد ، ولا للدنيا نعمل كلنا فى الله إخوة .

وكان نقش خاتم أبى عبيدة بن الجراح « الحمد لله » .

وكتب أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

سلام عليك اما بعد ..

فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يديك الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ؟ فإنا نحذرك يوما تعنو فيه الوجوه ، وتجف فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج ، لحجه ملك قهرهم بجبروته ، فالخلق داخرون له ، يرجون رحمته ، ويخافون عقابه ، وإنا كنا نحدث أن أمر هذه الامه سيرجع فى آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانيه أعداء السريرة ، وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذى نزل من قلوبنا فإنما كتبنا به نصيحة لك .. والسلام عليك .

ولم يغضب الفاروق ، فقد كان يعلم أن الدين النصيحه فكتب إلى أبى عبيده ومعاذ بن جبل :

من عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة ومعاذ سلام عليكما أما بعـد ...

أتانى كتابكما تذكران أنكما عهدتمانى وأمر نفسى لى مهم ، فأصبحت قـد وليت أمر هـذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس بين يدىّ الشريف والوضيع ، والعـدو والصديق ، ولكل حصته من العـدل ، كتبتما : فأنظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ؟ وإنه لا حـول ولا قـوة لعمر عند ذلك إلا بالله عز وجـل . وكتبتما تحـذرانى ما حـذرت منه الأمم قبلنا وقـديما كان اختلاف الليـل والنهار بآجال النـاس يقربان كل بعيد ويبليان كل جـديد ، ويأتيـان بكل موعـود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار . كتبتما تحـذرانى : أن أمر هـذه الأمه سيرجع فى آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعـداء السريرة ، ولستم بأولئك وليس هـذا بزمان ذاك ، وذلك زمان تظهر فيـه الرغبة تكون رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم . كتبتما تعوذانى بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما وإنكما كتبتما به نصيحة لى وقد صدقتما فلا تدعا الكتاب إلى فإنه لا غنى بى عنكما .. والسلام عليكما .

يقـول أبو عبيدة بن الجراح :

ـ قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام . يخفض القسط ويرفعه . يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل . حجابه النور . لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه من خلقه .

وسئلت أم المؤمنين عائشة (سألها عبد الله بن شقيق) :

ـ أى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليـه وسـلم ؟

قالت عائشة : أبو بكر .

فقيل لهـا : ثم من ؟

قالت أم المؤمنين عائشة . ثم عمـر .

فقال عبد الله بن شقيق : ثم من ؟

قالت عائشة بنت أبى بكر : أبو عبيدة بن الجراح .

أمـير الأمـراء :

وجعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح أمير الأمراء بالشام فأصبحت إمرته أكثر جيـوش الإسلام طـولا وعرضا عتادا وعـددا .

فمـــا زاده ذلك إلا تواضعا فكان الذى يراه لا يحسبه إلا فردا عاديا من المســــــلمين •

وانبهر أهــل الشام بأبى عبيدة •• فقام فيهم خطيبا وقال :

ــ إنى مسلم من قريش ، وما منكم من أحــد أحمر ولا أسود يفضلنى بتقوى إلا وددت أنى فى مسلاخه (إهابه) •

وذات يوم جلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع جلسائه فقال لهم :

ــ تمنـــــــــوا •

فقــال رجــل :

ــ أتمنى لو أن لى هــده الدار مملوءة ذهبا أنفقته فى سبيل الله •

ثم قال الفاروق : تمنـــوا ••

فقــال رجــل آخر :

ــ أتمنى لـــو أنها مملوءة لؤلؤا وزبرجــدا وجـــوهرا أنفقـــه فى ســـبيل الله وأتصـــــدق ••

ثم قال أبو حفص : تمنـــوا •

فقالـــوا : ما ندرى يا أمير المؤمنين ••

قال عمر بن الخطاب :

ــ لكنى أتمنى بيتا ممتلئا رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح •

وبعث أمير المؤمنين عمر إلى أبى عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمـــائة دينـــار وقال لرســـوله :

ــ انظـــر ما يصـــنع ••

وذهب الغلام إلى أبى عبيده بالمـــال •• فأخـــده منه وقسمه بين المساكين •• فعـــاد رسول عمر وقال لـــه :

ــ قسمها أبو عبيدة •

ثم أرسل عمر بن الخطاب إلى معاذ بن جبل بمثلها وقال لرسوله مثل ما قال فقسمها معاذ بن جبل •• فلمـــا أخبر رسول عمر أمير المؤمنين بمـــا فعـــل معاذ قال : انهم اخـــوة بعضهم من بعض •

زهده ووصاياه لجنده :

وعلم أبو عبيدة بن الجراح أن جمعا من الروم عزموا على حصار أبى عبيده بحمص واستجاشوا (استعانوا) بأهـل الجزيرة وخلق ممـن هنـالك وقصـدوا أبا عبيدة • فبعث أبو عبيدة إلى خالد بن الوليد فقـدم عليه من قنسرين وكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك • واستشار أبو عبيدة المسلمين :
ـ هـل نناجز الروم أو نتحصن بالبلد حتى يجىء إلى أمر عمر :

فأشاروا كلهم بالتحصن إلا خالد بن الوليد فقال :

ـ نناجـز الـروم ••

فعصاه أبو عبيدة بن الجراح وأطاع الناس وتحصن بحمص •• فأحاط به الروم وكل بلـد من بلـدان الشام مشغول أهله عنه بأمر الروم ولو تركوا ماهم نبه وأقبلوا على حمص لانخرم النظام فى الشام كله •

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص أن يندب الناس مـع القعقاع بن عمرو ويسيرهم إلى حمص فور وصول كتابه نجـدة لأبى عبيدة ابن الجراح فإنه محصور •

وكتب عمر إليه أن يجهز جيشا إلى أهـل الجزيرة الذين مالئـوا الروم على حصار أبى عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض بن غنم •

فخرج الجيشان معا من الكوفة : القعقاع بن عمرو فى أربعة آلاف نحـو حمص وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة بن الجراح •

ولـما بلغ أهل الجزيرة الذين مالئوا الروم على خمص أن جيش عياض بن غنم قـد طرق بلادهم انشمروا (ذهبوا) إلى بلادهم وفارقوا الروم •

وسمعت الروم بمقـدم أمير المؤمنين عمر ليتصر نائبه عليهم فـدب الضعف فى جانبهم ••

وأشار خالد بن الوليد على أبى عبيدة بن الجراح بأن يبرز إلى الروم ليقاتلهم •• فخرج أبو عبيدة ففتح الله عليه ونصره عليهم وهزمهم هزيمـة ساحقه •• وذلك قبل ورود الإمدادات إليه بثلاث ليال • فكتب أبو عبيدة إلى مير المؤمنين عمر بالفتح •

زهــده ووصــاياه لجنــده :

ولمــا قــدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الشام تلقاه الناس وعظمــاء أهــل الأرض فتساءل الفاروق :

ـ أيــن أخــى ؟

فقالــوا : مــن ؟

قال أمير المؤمنين عمر : أبو عبيدة .

قالــوا : الآن يأتيــك ..

فلمــا أتاه نزل واعتنقه ثم دخل عليه بيتا .. فلم ير فى بيته إلا ســيفه وترسه ورحله (رمحــه) .

فقــال عمر بن الخطاب وهــو يبتسم :

ـ ألا اتخــذت ما اتخــذ أصحابك ؟

فقــال أبو عبيدة بن الجراح :

ـ يا أمير المؤمنين هــذا يبلغنى المقيل ...

ونظر الفاروق فرأى عيش أبى عبيدة بن الجراح وما هــو عليه من شدة فقــال لــه :

ـ كلنــا غيرته الدنيــا غيرك يا أبا عبيدة .

ودخــل مسلم بن أكيس مولى عبد الله بن عامر على أبى عبيدة بن الجراح فوجــده يبكى فسأله :

ـ ما يبكيك يا أبا عبيدة ؟

فقــال أبو عبيدة :

ـ نبكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ما يفتــح الله على المسلمين ويفىء عليهم حتى ذكر الشام فقال : إن ينسأ فى أجلك يا أبا عبيدة فحسبك من الخــدم ثلاثة : خادم يخــدمك وخادم يسافر معك وخادم يخــدم أهلك ويرد عليهم ، وحسبك من الدواب ثلاثة : دابة لرحلك ودابة لنقلك ودابة لغــلامك .

ثم أشار أبو عبيدة بيده واستطرد :

ـ ثم هـذا أنا أنظر إلى بيتى قـد امتلأ رقيقا وأنظر إلى مربطى قـد امتلأ دواب وخيلا ، فكيف ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعـد هـذا ؟ وقـد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أحبكم إلى وأقربكم منى من لقينى على مثل الحال التى فارقنى عليها ؟؟

كان خـوف أبى عبيدة بن الجراح وبكاؤه على بسط الدنيا جعل الدمـع لا يجف فيبلل لحيته •• وكان يقول ·

ـ وددت أنى كبش فذبحنى أهلى فأكلوا لحمى وحسوا مرقى •

وكان يسير فى العسكر فيقول :

ـ ألا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه ، ألا رب مكرم لنفسه وهـو لهـا مهين ، ادرءوا السيئات القـديمات بالحسنات الحـديثات ، فلو أن أحـدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهـرهن •

وأصيب أمين هـذه الأمة فى طاعون عمواس بأرض الشام سنه ثمان عشره •• اشتد الوجـع بأبى عبيدة بن الجراح وبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر كتب إلى أبى عبيدة بالأردن ليستخرجه منه :

إن سلام الله عليك أما بعـد •••

فإنه قـد عرضت لى إليك حاجـة أريد أن أشافهك فيها فعزمت عليك إذا نظرت فى كتابى هـذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلى •

فعرف أبو عبيدة بن الجراح أن أمير المؤمنين عمر إنما أراد أن يستخرجه من الوباء فقـال :

ـ يغفر الله لأمير المؤمنين •••

ثم كتب أبو عبيدة إلى الفاروق :

ـ يا أمير المؤمنين إنى قـد عرفت حاجتك إلى وإنى فى جند المسلمين لا أجـد بنفسى رغبه عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فىّ وفيهم أمره وقضاءه • فخلنى من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعنى فى جندى •

ودعا أبو عبيدة من حضره من المسلمين فقال لهم موصيا :

– إنى موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير : أقيموا الصلاة وصوموا شهر رمضان وتصدقوا وحجوا وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم ولا تلهكم الدنيا • إن امرءا لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون إن الله تعالى كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون فأكيسهم أطوعهم لربه وأعلمهم وأعملهم ليوم معاده •• والسلام عليكم ورحمة الله •••

ثم نظر نحو معاذ بن جبل وقال :

– يا معاذ بن جبل •• صل بالناس •

وفاته :

ومات أمين هذه الأمة وأمير الأمراء فوق أرض الاردن التى طهرها من وثنية الفرس واضطهاد الروم •• توفى أبو عبيدة بن الجراح وعمره ثمان وخمسون سنه ••• فصلى عليه معاذ بن جبل ونزل فى قبره معاذ وعمرو بن العاص والضحاك بن قيس ••

ولما بلغ أمير المؤمنين كتاب أبى عبيدة بن الجراح •• علم أنه الناعى •• فأسبل جفنيه على عينين غصتا بالدمع •



« لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ .. وإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ »

حديث نبوى شريف

« لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُوعُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ »

حديث نبوى شريف

